ارتـــــــداد
REFLECT

"الإعلام والأيقونية: لماذا تظل شارلي إبدو في الواجهة بينما تُهمَّش كرايستشيرش ومئة شهيد إعلامي في غزة؟"

رائد أحمد سمور

في هذا المقال، سنقدم تحليلاً مفصلاً ومقارنة بين التغطية الإعلامية لحادثتي شارلي إبدو في فرنسا ومذبحة كرايستشيرش في نيوزيلندا. ومن منظور صحفي، سنقارن بين كيفية التعامل مع حقوق الصحافة في باريس واستهداف والصحفيين والعاملين في الميدان الصحافي في فلسطين، خاصة خلال الحرب الأخيرة على قطاع غزة، والتي اغتيل فيها أكثر من مئة صحفي وإعلامي حتى الآن، بل واستهدفت عائلات بعضهم أيضا. من خلال هذه المقارنة، نسعى لتوضيح أن الصحافة الغربية ليست بالضرورة صحافة حرية أو حقوق إنسان أو "رأي ورأي آخر"، بل هي صحافة ذات ارتباطات سياسية وعرقية ودينية، لها حساباتها الخاصة.

إن التغطية الإعلامية للأحداث المفصلية عملية معقدة تتطلب مراعاة مجموعة من الأسس والمعايير لضمان تقديم معلومات دقيقة وشاملة ومتوازنة. والأحداث المفصلية هي تلك الاحداث التي تخلّد في الذاكرة الإعلامية ولا بد من المرور عليها في كل عام في تاريخ حدوثها.

إن المغالاة والمحاباة الإعلامية للصحافة الغربية، التي طالما ادعت أنها صحافة حرة تدافع عن حقوق الإنسان والقيم، تتجلى بوضوح في تباين تعاملها الإعلامي مع حادثة شارلي إبدو وأحداث أخرى أشد وطأة و تهديدا لتلك القيم. حيث اعتبر نشر الصحيفة لصور مسيئة للنبي محمد تعبيراً عن حرية الرأي والديمقراطية الغربية، وعندما تم استهدافها، قامت الدنيا ولم تقعد. لكننا لم نشهد ذات الاستجابة وردة الفعل في أحداث تبدل فيها الضحية والمكان.

وفي هذه المقارنة سنسلط الضوء على المحاور التالية:

- الاهتمام السياسي

- الرمزية الثقافية

- التغطية الإعلامية

- السياسات الدولية والاهتمام العام

1- الاهتمام السياسي:

حدثت الهجمات على صحيفة شارلي إبدو في باريس عام 2015، حيث أسفرت عن مقتل 12 شخصًا، بعد نشر الصحيفة صورا اعتبرت مسيئة بحق الدين الإسلامي وعكست صورة غير صحيحة عن الإسلام والنبي الكريم. واعتبرت هذه الصحيفة أن الهجوم ما كان إلا هجومًا مباشرًا على حرية الصحافة وحرية التعبير، مما أثار ردود فعل قوية من السياسيين والإعلام حول العالم. بحيث تجمع ساسة العالم في باريس التي تعتبر قلب أوروبا. وقاموا بالمسير متشابكي الأيدي رفضا لما حدث لصحيفة شارلي إبدو، موجهين رسالة للعالم أننا متحدون ضد كل ما يتعلق بالإرهاب والمس بالحريات والديمقراطيات.

من المسيرات التي خرجت في باريس تنديدا بهجمات شارلي إيبدو

أما مذبحة كرايستشيرش التي حدثت في نيوزيلندا عام 2019، واستهدفت المسلمين في مسجدين وأودت بحياة 51 شخصًا، واعتبرتها الصحافة الأوروبية والغربية وصنفتها على أنها جريمة كراهية خطيرة وذات دوافع عنصرية، لم تحظ بأي اهتمام دولي ولم نشاهد ساسة العالم يتضامنون من نيوزلندا ومع الجالية المستهدفة بهذا العمل الإجرامي، واكتفت الكيانات السياسية في العالم بإدانة ووصف هذا العمل على أنه جريمة كراهية. إذن المكان الجغرافي والثقل السياسي وطبيعة المستهدف يحدد اهتمام العالم سياسيا بذلك الحدث وبالتالي التعامل معه إعلاميا وفق توصيف الحالة السياسية.

2- الرمزية الثقافية:

اعتبرت الصحافة الغربية صحيفة شارلي إبدو رمزًا للحرية والتحدي ضد التطرف، واعتبر الهجوم عليها، هجوما على قيم غربية مثل حرية التعبير والديموقراطية.

أما في الجانب الآخر من المقاربة فكانت مذبحة كرايستشيرش، هذا الهجوم الإجرامي المروع، من حيث التحضير إلى التنفيذ وعدد الضحايا الذي فاق عدد القتلى في شارلي إبدو بأربعة أضعاف ونصف، فإنه يُنظر إليه من قبل الصحافة الغربية على أنه حادثة منعزلة في نيوزيلندا، وليس هجومًا مباشرًا على رمز عالمي بنفس مستوى شارلي إبدو.

3- التغطية الإعلامية:

من خلال تحليل التغطية الإعلامية التي رافقت الحدثين في فرنسا ونيوزيلندا، يتضح طغيان الانتقائية والمعايير المزدوجة في الصحافة الغربية. تُبرّر الصحافة الغربية الأهمية الكبرى التي أعطتها لشارلي إبدو بأن التغطية الإعلامية المكثفة تعتمد على السياق السياسي والاجتماعي المحيط بها، وأن الهجمات الإرهابية في باريس (قلب أوروبا) وقعت في وقت كان فيه الإرهاب موضوعًا ساخنًا جدًا في النقاشات والأوساط الدولية.

ولا بد من الإشارة إلى أن التغطية شملت تحليلات واسعة للتطرف والإرهاب في أوروبا وأثره على السياسات الأمنية، مما ساهم في نمو اليمين المتطرف في أوروبا الذي كان سببا في حصول مذبحة كرايستشيرش.

وعلى الرغم من أن التغطية الإعلامية لمذبحة كرايستشيرش من قبل الإعلام الغربي ركزت بشكل كبير على الجانب الإنساني، إلا أن ذلك كان يهدف إلى تجنب إعطاء بعد سياسي وأمني كبير للجريمة. فقد تمحورت التغطية حول قصص الضحايا وتأثير المذبحة على المجتمع المسلم في نيوزيلندا، بالإضافة إلى مناقشات حول الإسلاموفوبيا واليمين المتطرف في الغرب.

ولا بد من التنويه هنا أن التغطية المستمرة لشارلي إبدو في الذكريات السنوية قد حظيت بتغطية إعلامية مكثفة ومستمرة، في حين أن كرايستشيرش في ذكرياتها السنوية لم تحقق نفس المستوى من الاهتمام الإعلامي المستمر الذي حظيت به شارلي إبدو.

4- السياسات الدولية والاهتمام العام:

كلا الحدثين أظهرا أن السياسة الدولية والأحداث الجيوسياسية قد تلعب دورًا في تحديد الأولويات الإعلامية. فالهجمات والأحداث التي تقع في أوروبا، خصوصًا في عواصم كبرى مثل باريس، تكون ذات تأثير أكبر على السياسة الدولية وبالتالي يكون الإهتمام العام بها أكبر بكثير مما قد يحدث في منطقة جغرافية أخرى وإن كانت في أوروبا ذاتها. ولا شك أن بعض الهجمات تلقى اهتمامًا أكبر بناءً على الجمهور المستهدف وطبيعة الاستهداف ومن قام به وما هي مبرراته وبالتالي التأثير النفسي على الجماهير العالمية.

غزة تعري المعايير المزدوجة في كل شيء وعلى وجه الخصوص في الحالة الإعلامية

مئات الشهداء من العاملين في الوسط الإعلامي ارتقوا خلال الحرب الأخيرة على القطاع

كانت المبررات للاهتمام العالمي سياسيا وإعلاميا تتمحور حول أن المستهدف في باريس هي الصحافة وحرية الرأي والديمقراطية، لذا كانت التغطية الإعلامية لما حدث في باريس أكبر بكثير عما حدث في كرايستشيرش، وبعد السابع من أكتوبر/2023 وبعد تحييد وقتل أكثر من مئة صحفي يعملون ضمن طواقم اعلامية عربية وفلسطينية وأوروبية مع استهداف العاملين في الإعلام من مصورين وتقنيين وفنيين وعائلاتهم كان لا بد أن تتم المقاربة بين الهجوم على الصحافة في شارلي إبدو والهجمات التي تستهدف الصحفيين والعاملين في الإعلام وعائلاتهم، ويجدر بالذكر أن هنا عدد الشهداء ما يقارب الأربعين ألف شهيد -حتى تاريخ كتابة المقال- معظمهم من النساء والأطفال والمدنيين غير المنخرطين في أية أعمال حربية. ومن باب تسليط الضوء على المخاطر التي تواجه الصحافة في مناطق الحروب وتلك الصحافة التي واجهت التطرف الفكري، وحسب قراءة الصحافة الأوروبية والأمريكية والاستنتاجات الخاصة بها حول ما يحدث في غزة من استهداف الصحافة والإعلاميين والعاملين معهم ومقاربتها مع ما حصل في قضية شارلي إبدو فإننا نستخلص ما يلي:

الصحافة الغربية تنظر لهجوم شارلي إبدو على أنه تهديد واعتداء صارخ على حرية الصحافة، ومن ناحية أخرى، تنظر إلى الأحداث في فلسطين بشكل عام وفي غزة بشكل خاص على أنها جزء من حالة نزاع وصراع بعيد، قد تؤثر على الصحفيين وتودي حياتهم، ولكنها لا تمثل تهديدًا مباشرًا لـ"قيم الصحافة" التي تدعيها تلك المؤسسات.

أما على مستوى ردود الفعل الدولية فإن الهجوم على شارلي إبدو كان قد حظي بتغطية إعلامية واسعة وإدانة قوية، بينما استهداف الصحفيين في غزة لا يتعدى أن يتلقى إدانة من منظمات حقوق الإنسان، وتكون التغطية الإعلامية أقل بكثير.

وفي المحصلة، يتعرض الصحفيون لمخاطر تهدد حياتهم في كل أرجاء العالم، سواء من قبل جماعات متطرفة أو في مناطق النزاع.

الخلاصة،

أحداث شارلي إبدو حصلت في عام 2015 وحدثت بعدها بأربع سنوات مذبحة كرايستشيرش في نيوزيلندا في عام 2019. أي أن العالم لم يستفد أبدا من كل الإجراءات التي حصلت بعد الاعتداء على صحيفة شارلي إبدو، ومن تعاضد الساسة من كل أنحاء العالم مع باريس. وإن ما حدث مع كل المجهودات واللقاءات السياسية الأمنية والإعلامية والحملات الإعلامية، يثبت أن الإرهاب لا دين له وأن الإرهاب الذي يستهدف الصحافة في باريس هو ذات الإرهاب الذي يستهدف المساجد في كرايستشيرش في نيوزيلندا وهو ذاته الذي يستهدف الصحافة والإعلامين والعاملين معهم وعائلاتهم في فلسطين بشكل عام وفي غزة بشكل خاص. لكن تعامل الصحافة مع تلك الأحداث تعامل غير منصف على الإطلاق والتلاعب بالمصطلحات المنشورة وتصنيف كل حالة على أنها كراهية وإرهاب واستهداف للقيم والديمقراطية وكأن الإعلام الغربي يفضّل كل حالة بما يخدم مصالح الكيان بالدرجة الأولى، ويبرر استهداف قيم الآخر ومقدساته تحت مسمى ديمقراطية وحرية تعبير وما بين تسمية ضحايا في النزاعات كما يحدث في غزة الأن.

الحقيقة أن الاهتمام العالمي والتغطية الإعلامية للأحداث الإرهابية واستهداف الصحفيين يختلف من حالة إلى أخرى ويعتمد على عدة عوامل، فالهجمات التي تُعتبر هجومًا على القيم الأساسية أو التي تحدث في مراكز النفوذ العالمي تحصل عادةً على تغطية إعلامية أكبر واهتمام أطول.